

# مقتل شيكاو زعيم بوكو حرام يخلط أوراق الجماعات الجهادية في نيجيريا وجوارها

## التنظيم المتطرف يتجه إلى خلق كتلة تتنوع أساليبها بين الخشونة والمرونة



يضع مقتل أبوبكر شيكاو زعيم بوكو حرام، القيادي المثير للجدل والمطلوب دولياً، عنوان الفصل الأخير لمسيرته التي اتسمت بالرعب والترويع. ومن غير المستبعد أن يقود تخلص جماعة بوكو حرام من أبرز قادتها الأكثر راديكالية ووحشية إلى احتواء الانتفاضة الشعبية الغاضبة ضدها واختراق حالة تعاون المجتمع المدني المحلي مع الأجهزة الأمنية، علاوة على حرمان الحكومة من استغلال انقسامات الجماعة ما يعني بدء مرحلة جديدة باليات مختلفة من الصراع بين بوكو حرام والسلطات في نيجيريا.

هشام النجار  
كاتب مصري

بات مقتل أبوبكر شيكاو زعيم بوكو حرام في نيجيريا الأريعاء الماضي حقيقة مؤكدة هذه المرة بعد أن أعلن خطأ عن موته أربع مرات سابقاً، حيث أكد الجيش النيجيري رسمياً مقتله.

وتضع الطريقة الدراماتيكية التي انتهت بها حياة هذا القيادي المثير للجدل وأكثر شخص مطاردا ومطلوبا دولياً عنوان الفصل الأخير لمسيرة اتسمت بتبني الأساليب الأكثر قسوة ووحشية، حيث بث الرعب في نفوس النيجيريين وسكان دول الجوار بعمليات جز الرؤوس وقتل الآلاف وخطف البنات والاعتصام الوحشي وتوظيف الأطفال لأغراض الجنس وتجنيدهم كإنتحاريين يفجرون أنفسهم إما بغسل أممعتهم أو بالإكراه في صفوف المدنيين.

فجر شيكاو نفسه في نهاية المطاف أخيراً بحزام ناسف كان يخفيه بعد محاصرته ومقاتلين موالين له من قبل مجموعة تنتمي لداعش، وبعد أن ساوموه لإجباره على الجلوس والتفاوض على التنازل وتبرك الإمارة وإعلان مبايعته لقائد داعش في غرب أفريقيا، فجز حزامه الناسف حتى لا يقدم تنازلاً لخصومه وتقاديا لوقوعه في الأسر.

وبعد سنوات من إحكام حمايته من خلال مقاتلين مدربين بشكل جيد وحراس دينيون بالولاء التام له وشبكة قوات خاصة جعلته يتجنب خطط الإمساك به أو اغتياله، أكد مسؤولون أمنيون أن مقاتلين تابعين لداعش نجحوا خلال الأشهر الأخيرة في تجنيد كبار مساعدي شيكاو، وهو ما سمح باختراق الدائرة المحيطة به، وصولاً لاستسلامه الذي ترتب على استسلام حراسه الشخصيين أولاً عندما سلموا أنفسهم لمقاتلي داعش. ولا تعد هذه الخطوة المهمة نجاحاً مباشراً لإجهزة الأمن والجيش النيجيري حيث قتل شيكاو الذي طارده الأمن لسنوات دون جدوى ووضعت الحكومة الأمريكية مكافأة بقيمة 7 ملايين دولار لمن يدلي بمعلومات تقود لاعتقاله أو اغتياله على يد جهاديين منافسين له، وعلى الأرجح ينتمون للمجموعة النخبوية المعروفة باسم إيسواب الموالية لداعش، تمكنوا من تجنيد شيكاو بمقر احتجاز الفتيات بمنظمة تمكنتو بغابة سامبيسا، ما اضطره لتفجير نفسه بعد أن تيقن من أن المقربين منه قد خانوه وأنه واقع في الأسر لا محالة.

### ما بعد شيكاو

من المرجح أن يساهم مقتل شيكاو الذي تزعم بوكو حرام منذ العام 2009 قبل أن يعزله أبوبكر البغدادي في العام 2016 ويعين بدلا منه أبو مصعب البرناوي، في إحداث تغييرات داخل داعش والحالة الجهادية بنيجيريا وجوارها، بالنظر إلى أنه كان التجسيد الأبرز لانتشاق التنظيم إلى فصليين وللتحولات الأكثر وحشية التي شهدتها المنطقة. ولم تُع هذه التحولات في الأساس لنهاج داعش الذي كان قاده أقل طرفاً وأكثر حرصاً على حياة المدنيين، إنما كانت خياراً تكتيكياً لقائد بوكو حرام

### كيف يمكن لبوكو حرام امتصاص السخط الشعبي ضدها

إنهاء حياة دور مزعم هذا التوجه شيكاو، ما يعني تكريس منهجية مختلفة تستوحي الإستراتيجية التي أثبتت فعاليتها في العديد من مناطق أفريقيا، والتي تعتمد على استهداف قوات الأمن والعسكريين وتحييد المدنيين، فضلاً عن تقديم التنظيم نفسه داخل الأوساط التي تشعر بالاضطهاد والغبن كبديل للدولة ونصير للطبقات الأكثر فقراً والتي تعاني من التمييز الطائفي.

التخلص من شيكاو مثل حاجة ملحة لقادة بوكو حرام لخلق واقع حركي جديد قادر على الحفاظ على ما تبقى من الجماعة وتحييد صفوفها

وبعد تراجع نفوذ بوكو حرام إقليمياً ودخل نيجيريا صار عين قادتها على التكتيك والرواية التي روجتها وأسهمت في صعودها وانتشارها خاصة بعد انتقالها من جماعة دخلت في شراكة سياسية مع الدولة النيجيرية بين عامي 2002 و2009 عندما لعبت دوراً في تصعيد سياسيين وتمكينهم من حكم ولاية بورنو في شمال شرق نيجيريا مقابل وعود بتحكيم الشريعة، إلى جماعة إرهابية تتبنى الصدام المسلح ضد الدولة التي تصفها بالكافرة منذ منتصف العام 2009.

ومن المتوقع أن تعود بوكو حرام بعد نجاحها في توحيد صفوفها وقبائليتها ترويج روايات المظلومية في مواجهة قمع الحكومة الوحشي، والتنازلي مع استقطاب من يعانوا من البؤس والفقر نتيجة الإهمال الحكومي وانتشار الفساد، وهي تكتيكات أسهمت في صعود الحركة في بداياتها، وتعد أكثر نجاعة وفاعلية بالمقارنة بما لحقها من سمعة سيئة وسخط شعبي نتيجة انتهاجها هي العنف ضد المدنيين.

وتخلص جماعة بوكو حرام من قادتها الأكثر راديكالية ووحشية من شأنه احتواء الانتفاضة الشعبية المحتدم المدني المحلي مع الأجهزة الأمنية، علاوة على حرمان الحكومة من استغلال انقسامات الجماعة، ما يعني بدء مرحلة جديدة باليات مختلفة من الصراع بين بوكو حرام والسلطات النيجيرية.

هذا التنافس مؤخرًا معادلة مغايرة، بالنظر إلى أن السبيل الوحيد لبقاء الحد الأدنى التنظيمي لبوكو حرام حاضراً في المشهد يتمثل في خلق كتلة تنظيمية موحدة تنوع في أساليبها بين الخشونة والمرونة وتحييد المدنيين وتدخل في مفاوضات مع السلطات الحكومية تضمن نجاحها بعد أن فشلت غالبية المحادثات السابقة نتيجة الخلافات بين الفصائل داخل الجماعة وتباين الآراء بين القادة داخل الحركة.

ورغم تجنب الصراع العسكري على مدار سنوات بين فصلي داعش والمنافسين ونجاحهما في التعامل مع الضغوط التي تعرضا لها منذ حدوث الانقسام في أغسطس 2016 عندما قررت القيادة الرئيسية لداعش الإطاحة بزعيم الجماعة شيكاو وتعيين البرناوي بديلاً له، إلا أن نثار الخلاف الفكري والمنهجي وتباين الوسائل والتكتيكات والتنافس الشرس بين قادة متقاربين في السن ظلت تحت الرماد.

وطغت الخلافات الفكرية والحركية وطموحات القادة الشباب وحرصهم على الانفراد بالهيمنة على السطح، بعدما طغت حاجة الجماعة الملحة للسيطرة على الانقسام داخلها بغرض تدعيم حالة من التماسك التنظيمي.

### ازدهار البدايات

مقتل شيكاو على يد مجموعة نخبوية مدعومة لداعش بعد النجاح في اختراق دفاعاته وخيانة عدد من المقربين منه، يذهب بجماعة بوكو حرام لأول مرة منذ 2016 إلى تأسيس كتلة تنظيمية موحدة ومتماسكة.

ويقود توحيد القيادة والتنظيم بعد مقتل شيكاو إلى الحد من الانشقاقات التي لعب التوتر في العلاقات بين قاداتي الفصليين المنافسين دوراً كبيراً في اتساعها، فضلاً عن تحقيق الهدف الأهم وهو استعادة بوكو حرام جاذبيتها ومقدريتها على التجنيد والاستقطاب خاصة داخل الأوساط الحضرية الفقيرة والمهمشة والتي نغرت من ممارسات التنظيم الوحشية، التي كانت تنسب لمجمل جماعة بوكو حرام بالنظر إلى أن النخب المتخصصة فقط هي من كانت تفرق بين قناعات وممارسات الفصليين المنافسين داخل الجماعة.

وسيكون خفض مستويات العنف تجاه المدنيين نتيجة مباشرة للقضاء على ازدواجية القيادة داخل بوكو حرام

منهج وتكتيكات كفيلاً بالحفاظ على الحد المتاح من الحواضن الشعبية التي كانت تميل لجناح داعش الذي يتزعمه البرناوي في حوض بحيرة تشاد، كلما خيرت بين الفصليين.

### معادلة مغايرة

لم تعوض التوسعات الإقليمية غير المدروسة داخل تشاد والكاميرون والنيجر إخفاقات جماعة بوكو حرام داخل نيجيريا، بل أوجدت حالة من الاستنفار والتعاون الأمني الإقليمي والدولي ضدها، بعد أن سعت للتحويل لتنظيم عابر للحدود على نحو يجعلها بؤرة داعشية جاذبة للإرهابيين المطارزين والهاربين من مناطق انهيار داعش، وتعمرت الجهود الإقليمية لمواجهة تلك الأخطار المشتركة لتحقيق الأمن بدول غرب أفريقيا.

ومع فقدان ميزة استمرارية التوسعات داخل دول الجوار خاصة بالكاميرون والنيجر وتشاد وانهيار شعبية التنظيم داخل ملاذاته وحواضنه داخل نيجيريا من جراء انسحاب آثار عمليات الخطف والقتل الجماعي وقطع الرؤوس والعمليات الانتحارية في صفوف المدنيين على فصيل داعش الذي كان نسق لسنوات مع تنظيم شيكاو، بات التخلص من الأخير حاجة ملحة لقادة بوكو حرام لخلق واقع حركي جديد قادر على الحفاظ على ما تبقى من الجماعة ومنحها بعض الأدوات والأوراق التي تمكنها من استعادة حضورها وقوتها. ولم تعد بوكو حرام تملك أدواتها التقليدية لتحقيق أهدافها وفي مقدمتها وضعها في صدارة خارطة التنظيم الإرهابية وإسقاط نظم الحكم القائمة وإقامة خلافة داعش في غرب أفريقيا عن طريق توسيع نطاق العمليات الإرهابية والتوغل في المزيد من العنق وسفك الدماء وهي التي تسببت في مقتل ما يقارب الخمسين الفا وتهجير أكثر من مليونين من السكان، ما أدى إلى تكثف المحيط الإقليمي ضدها واستنفر المدنيين قواهم داخل نيجيريا للتعاون ميدانياً على الأرض مع السلطات لكبح جماحها.

وبعد أن تسبب التنافس بين فصلي بوكو حرام في السابق في عدم استقرار البلاد وارتكاب جرائم بشعة في صفوف المدنيين وطلبة وطالبات المدارس، فرض

هذا النشاط لدرجة حمل مجموعات من المدنيين السلاح والاختراق في نشاط مسلح عبر التنسيق مع أجهزة الأمن لطرد متمرد بوكو حرام أو القبض عليهم.

وتراجع خلال الفترة الماضية نفوذ داعش بمعقله بشمال شرقي نيجيريا ليس فحسب على ضوء الضربات العسكرية التي تعرض لها إنما أيضاً بسبب الانشقاقات التي نشبت داخله، والتي عمل القادة المنافسون على احتوائها في البدايات عبر عمليات التنسيق وفصل مناطق النفوذ والنشاط، لكنها باتت مؤخراً عقبة رئيسية ومن عوامل التراجع والضعف وربما التفكك والانهيار الوشيكين.

وعدت جماعة بوكو حرام على مدار سنوات استثناء على عدة أوجه داخل الأوساط الجهادية، حيث تركزت حالة من التعايش والتعاون بين فصليين داخلها أحدهما تابع للقاعدة يقوده شيكاو والآخر مبايع لداعش منذ مارس 2015 يقوده البرناوي، ونجحا لفترة عبر تبادل الأدوار في الحفاظ على التوازن التنظيمي ومعادلة عدم الاعتداء؛ ففرع القاعدة يتبنى نهج داعش الديموي في استهداف المدنيين وخطف الأطفال والفتيات وفرع داعش يسلك تكتيكات القاعدة في تجنيد المدنيين واستهداف قوات الجيش والشرطة.

وقتل شيكاو الذي أُطيح به من قيادة الجماعة منذ أغسطس 2016 ليقود بعدها تنظيمًا مستقلاً يتفق مع منافسيه في الأهداف النهائية وفي التعاون لمواجهة الجيش النيجيري ويختلف في أدواته، وضع حدا لهذا التعايش، ليبدأ فصل جديد يتكسر خلاله نفوذ فرع داعش في غرب أفريقيا المتمركز في منطقة بحيرة تشاد، على حساب فرع القاعدة الذي كان يمثل له قائده شيكاو عمود الخيمة وعنوان استقلالية التنظيم عملياتياً وحركياً بعيداً عن أي اعتبارات فكرية ومنهجية، والذي كان يتركز بمنطقة غابة سامبيسا. ولم تؤد الأساليب الوحشية التي يتبعها شيكاو الذي لم يتورع عن قتل وبيع المدنيين واختطاف الفتيات فقط إلى الحيلولة دون مواصلة عمليات التجنيد والاستقطاب، إنما إلى ما هو أبعد عندما تشكلت مجموعات من السكان المدنيين لعبت دوراً كبيراً خلال الشهور الماضية في مساعدة الدولة على القيام بعمليات استخباراتية سائقت لتنفيذ مهام عسكرية ناجحة ضد بؤر التنظيم، ما شجع على تطوير



مسؤولون أمنيون يؤكدون أن مقاتلين تابعين لداعش نجحوا خلال الأشهر الأخيرة في تجنيد كبار مساعدي أبوبكر شيكاو، وهو ما سمح باختراق الدائرة المحيطة به